

فلسفة الحضارة عند ول ديورانت

The philosophy of civilization according to will durant

عبد الرحمان قيطون^{1*}، المشرف: د. محمد بن سعيد²¹ قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي نور البشير البيض (الجزائر)

مخبر الأنساق والبنىات والنماذج والممارسات. العلوم الاجتماعية والترجمة. Issmp. جامعة وهران 2 .

guitoun.abderrahmane@gmail.com

² قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي نور البشير البيض (الجزائر)

مخبر الأنساق والبنىات والنماذج والممارسات. العلوم الاجتماعية والترجمة. Issmp. جامعة وهران 2 .

Bensaidmed67@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/13

تاريخ القبول: 2022/11/14

تاريخ الاستلام: 2022/05/12

ملخص:

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على إشكالية مفهوم الحضارة في الفكر الغربي المعاصر وذلك من خلال معرفة المنهج الذي اعتمده ول ديورانت في تأريخه للحضارة، ونهدف من خلال هذا إلى التعرف على نظرة هذا المؤرخ إلى تاريخ الحضارة بالدرجة الأولى وفهم آليات وطرق التأريخ للحضارات بالدرجة الثانية بالإضافة إلى توضيح عوامل نشوء الحضارة عنده ودور الفلاسفة والمفكرين في ذلك، باعتبار أن الحضارة هي ثمرة صراع مادي ومعنوي للإنسان مع الطبيعة، مما يقتضي معرفة تاريخ قيام الحضارات وأسباب زوالها. وسنحاول من خلال هذا المقال الإجابة على السؤال التالي: ما هو مفهوم الحضارة عند ول ديورانت؟ وما هي أسباب قيامها وعوامل انحلالها حسب هذا المفكر؟

إن الإجابة عند هذه الأسئلة تقتضي منا تقصي كل ما كتبه هذا الفيلسوف حول الحضارة بالإضافة إلى وضع هذه الكتابات في السياق التاريخي والفلسفي لها أي مقارنتها بكتابات أخرى حول هذا الموضوع وذلك لتعرف عن مدى موضوعية التأريخ للحضارة وفهمها واستخلاص تفسيرات علمية دقيقة لها.

كلمات مفتاحية: الحضارة، ول ديورانت، التأريخ للحضارة، فلسفة، التاريخ.

Summary:

This study attempts to shed light on the problematic concept of civilization in contemporary Western thought, by discovering the approach adopted by Will Durant in his dating for civilization, we aim through this study to identify in one hand the view of this historian to the history of civilization ,in the other hand understanding the mechanisms and methods of history for civilizations .Furthermore clarifying his point of view concerning the factors of the emergence of civilization and the role of philosophers and thinkers in that, taking into consideration that civilization is the outcome of both conflicts : material and moral of man and nature, this last requires knowledge of the historical reasons behind the rise and the fall civilizations. Through this article, we will try to answer the following questions: What is the concept of civilization according to Will Durant and What are the reasons for its emergence and the factors for its dissolution?

The answer to these questions requires us to study everything that this philosopher wrote about civilization, in addition to that placing these writings in their historical and philosophical context, in other words, comparing them with other writings on this subject in order to know the extent of the objectivity of the dating for civilization ,understanding it and to derive accurate scientific explanations for it.

Keywords: Civilization, Will Durant, History of Civilization, Philosophy, History

1. مقدمة:

فلسفة الحضارة هي عملية تاريخية تتم فيها تدوين مختلف النشاطات في شتى المجالات لحضارة ما، وذلك لدراسة طبيعتها ومعرفة مميزاتها الخاصة قصد التعرف على عوامل نشأتها وأسباب انهيارها، لتخلص من خلال ذلك كله في النهاية إلى قانون عام للحضارة الإنسانية عموماً يمكننا من التعرف على أسرار الربط بين النشأة والانهيار لنعمل على

زيادة وتطوير مظاهرها ونحاول المحافظة عليها وذلك بتجنب الانهيار من خلال المحافظة على البقاء في قمة الحضارة قدر الإمكان وتجنب السقوط.

إن أهم الدراسات لفلسفة الحضارة تهدف إلى تحليل عوامل نشأة الحضارات ومراحل قوتها وأسباب اضمحلالها، كما أنها تدرس العلاقة بين كل هذه العوامل والمظاهر وتبين تأثيرها وتفاعلها مع بعض البعض لتخلص في النهاية إلى قوانين وضوابط لمراحل الحضارة وتحليلات فلسفية للحضارات، وقد شهدت هذه التفسيرات تبيان واضح في بينها بداية من تحديد مفهوم الحضارة مروراً بتحديد عوامل قيامها والسقوط مما يجعل ضرورة دراسة كل تحليل أو نموذج فلسفي للحضارة بمعزل عن الآخر ولا يُجمع بين دراسة هذا النموذج إلا من باب المقارنة. وعرف التأريخ للحضارة في الفكر الغربي دراسات كثيرة للفلاسفة ومؤرخين معاصرين في مجلدات ضخمة تؤرخ للحضارات الإنسانية ومن بين أولئك المفكرين نجد الفيلسوف الأمريكي ول جيمس ديورانت (1885-1981م) الذي أرخ لعديد الحضارات من خلال موسوعته الشهيرة قصة الحضارة وحاول من خلالها التأريخ لكل الحضارات الإنسانية بمختلف مراحلها.

إشكالية البحث:

إن إشكالية هذا الدراسة تتمثل في التقصي والبحث في الحضارة كمصطلح ومفهوم والذي شهد في حد ذاته تضارب في الآراء بالإضافة إلى تحديد وجهة نظر هذا الفيلسوف وتفسيراته الفلسفية لعوامل قيامها وأسباب زوالها، وهي تحاول الإجابة على السؤال التالي: ما هو مفهوم الحضارة عند ول ديورانت؟ هل كان تحديد ول ديورانت للحضارة وعوامل قيامها وانحلالها منطقياً موضوعياً أم ذاتياً أيديولوجياً؟

الفرضيات:

-شكل مفهوم الحضارة جدلاً واسع بين المفكرين المعاصر نظراً لصعوبة تحديد المعنى الذي يشير إليه بدقة وتداخله مع مفاهيم أخرى مما أفرز تعريف متعددة لهذا المصطلح وما أنتج بالمقابل تفسيرات فلسفية مختلفة للحضارة.

-يعبر التفسير الفلسفي لعوامل قيام والحضارة أسباب انهيارها عند ول ديورانت عن نظرة مؤرخ يسعى إلى فرض نمط أيديولوجي غايته أن الحضارة تسير نحو التحلل والانهيار.

-هناك علاقة وطيدة وثابة بين عوامل قيام الحضارات وأسباب انهيارها ويمكن الربط بينهما من خلال معرفة آلية الربط بينهما.

أهداف الدراسة

إن الهدف الذي تسعى إليه هذه الدراسة هو تحليل مفهوم الحضارة وعوامل قيامها وأسباب انهيارها عند أحد أكبر المؤرخين في الفكر الغربي المعاصروهي دراسة جديدة كليا - على حد علمنا- وبالتالي فإن الأهداف الأساسية لهذا المقال تتمثل تحديدا فيما يلي:

- تحديد مفهوم الحضارة في الفكر العربي والغربي عموما.
- التعرف عن مفهوم الحضارة عند ول ديورانت.
- الكشف عن النظرة الفلسفية لهذا المؤرخ من خلال آراءه في الحضارة وعوامل قيامها وأسباب زوالها .

منهجية البحث:

لمقاربة هذه الإشكالية اعتمدنا المنهج التحليلي وذلك بهدف الكشف عن الرؤية الفلسفية لهذا المؤرخ ومدى صحتها بالإضافة إلى أن هذا المنهج يمكننا من النقد لمختلف الأفكار التي يمكن تكون نابعة من عوامل أيديولوجية أو آراء ذاتية تجعل من مفهوم الحضارة والتأريخ لها مجرد عملية جمع للمعلومات لا تعبر عن الحقائق وبهذا يكون التحليل وسيلة كشف والنقد آلية تقويم .

2. مفهوم الحضارة

1.2 في الفكر العربي

الحضارة في اللغة العربية لفظة تحمل معاني عديدة فقد جاء في القرآن الكريم "(..لمن لم يكن أهله حضاري المسجد الحرام" (الآية 196 من سورة البقرة) ويكاد يجمع المفسرون أن المقصود من هؤلاء هم المقيمون بمكة المكرمة أي أن لفظ حضاري في هذه الآية يدل على السكان الأصليين لها الدائمون الحضور فيها وهو ما يعني أن لفظ الحضارة قد يستعمل للدلالة على الإقامة.

وكتب ابن منظور في لسان العرب " أن الحضور يعني نقيض الغياب وقد يأتي الحضور بمعنى الاقتراب فنقول بحاضرة الدار، أي بالقرب منها. وقد تأتي بمعنى القدوم مثل حضر فلان، ولكن أقرب المعاني إلى المعنى المعاصر لهذه اللفظة قوله: الحاضر هو الذي يقيم في المدن والبادي يقيم في البادية. (ابن منظور، 1984، صفحة 196). وفي هذا دلالة على أن لفظ الحضارة يطلق على المدينة إذ يطلق على من سكن الصحراء أو الريف اسم البدو ولفظ الحضر على سكان المدن.

ويستعمل ابن خلدون لفظ الحضر للدلالة على مجتمع المدينة وسكانها حيث يقول "إن أول مطالب الإنسان الضروري، ولا ينتهي إلى الكمال والترف إلا إذ كان الضروري حاصلًا. فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة. ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري إليها" (ابن خلدون، 2010، صفحة 12). لكن هذا المعنى للحضارة إنما المقصود به المدنية وعليه فإن لفظ الحضارة في اللغة العربية يدل على التمدن وسكن المدينة التي تتميز بالعمران وتكون بها علامات الترف والبذخ وتوفير مختلف الكماليات من العيش والتي تغير في طابع البشر وأخلاقهم والتي هي مرحلة يسعى إليها الإنسان باستمرار لأنه فطر على حب الكمال والجمال في كل شي والميل الى الراحة والاستقرار فهي إذن رحلة الإنسان من قسوة العيش وسبله الصعبة إلى الحياة التي تتميز بالترف والرفقة و ميول النفس.

2.2 في الفكر الغربي

جاء في قاموس أكسفورد للمترادفات عدة معاني لكلمة حضارة منها المدينة وهي البلدة وكذلك تعني المواطن المقيم في المدينة كما تشير إلى التحضر بمعنى التهذيب والاحترام واللفظ وقد تستخدم الحضارة للدلالة على الثقيف والصقل وتوسيع المدارك.

(Urdang., 1992, p. 62) وهذا التعريف يؤكد العلاقة الوطيدة بين مفهوم الحضارة والثقافة وتأثيرهما على بعضهما البعض، فالحضارة تساهم في بناء الثقافة وهذه الأخيرة جزء لا يتجزأ من المفهوم الكلي للحضارة فالأولى تعبر عن الإنتاج المادي للإنسان وتأثيره على الإنتاج المعنوي ومختلف الفنون والعلوم والثانية تدل على أن هذه العلوم والفنون تساهم بدورها في سيطرة الإنسان على الطبيعة والتحكم فيها أكثر، وبذلك تكون الثقافة والحضارة وجهين لعملة واحدة لا يمكن لأي منها أن يقوم دون الآخر. فلا يمكن للثقافة أن تنمو ما لم تتوفر الظروف المادية الحضارية المؤسسة لها كما لا يمكن لتلك الظروف الحضارية أن تزدهر وتتطور ما لم تتوفر على شروط ثقافية تدفع بها للرقى والنمو والإنتاج. وعليه فالعلاقة بينها علاقة تكامل وظيفي.

وفي القاموس الفلسفي كتب لالاند تعريفه لمصطلح الحضارة كالآتي: (إن حضارة ما هي مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة، ذات طبيعة قابلة للتناقل، تتسم بسمه دينية، أخلاقية جمالية فنية، تقنية أو علمية، مشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو في عدة مجتمعات). (لالاند، 2001، صفحة 72). وتلك الظواهر الاجتماعية المقصودة في هذا التعريف تشير إلى الثقافة التي تعني أفكار خاصة ومميزة في مجال محدد كالدين أو الفن والأخلاق وغيرها.

إن مفهوم الحضارة في الفكر الغربي يعبر عن الثقافة والتي ظاهراً اجتماعية الزيادة في والتطور في مختلف الفنون والعلوم والآداب مما يعني أن آخر مرحلة حضارية هو التطور العلمي والثقافي والذي لا يمكن أن يكون دون توفر الضروري من أسباب العيش فالحضارة تعني الثقافة في الفكر الغربي رغم أن اللفظين مختلفين وسيتبين لنا ذلك لاحقاً.

3.2 الحضارة عند ديورانت

أثناء إجابته على سؤال: ما الحضارة؟ يقول ديورانت "إنها مزيج مركب من الأمن والثقافة، من النظام والحرية: أمن سياسي قائم على الأخلاق والقانون، وأمن اقتصادي يستند إلى استمرار الإنتاج والتبادل. وثقافة تنبت من تسهيل المعرفة والعادات والفنون ونقلها من جيل إلى جيل. والحضارة شيء معقد مزعزع يعتمد على عشرات العوامل التي قد يحدد أي عامل منها العظمة أو التدهور. (ديورانت، 2016، صفحة 92)

في هذا الجواب يربط ديورانت بين فكرتي الحضارة والثقافة بل أحيانا يستعمل المدنية لتدليل على هذه المصطلحات التي يبدو أنها تبقى متداخلة لأن علاقة التكامل والتقارب بينها ويمكن القول إن الحضارة عند هذا الفيلسوف تعني الجمع بين لفظ المدنية والثقافة فهي حالة اجتماعية راقية يصل إليها الإنسان إذ ما توفر له الاستقرار المادي والمعنوي المتمثل في الموارد الاقتصادية والاستقرار الاجتماعي. وبالتالي فإن الجمع بين اللفظين عند ديورانت له ما يبرره خاصة انه عرف الحضارة من خلال ذكر خصائصها.

وبالعودة إلى مفهوم الحضارة عند ديورانت نجد هذا الأخير يرى بأنها "مزيج مركب من الأمن والثقافة، من النظام والحرية: أمن سياسي قائم على الأخلاق والقانون، وأمن اقتصادي يستند إلى استمرار الإنتاج والتبادل، وثقافة تنبت من تسهيل المعرفة والعادات والفنون ونقلها من جيل إلى جيل". (ديورانت، 2016، صفحة 92) ولكن هذا كله يقع داخل حلقة التاريخ الذي يعبر عن المرحلة الزمنية لعمر الحضارة فلكل حضارة زمان ومكان فحين نقول الحضارة الإنسانية فنحن نعبر عن التاريخ البشري كاملا مهما اختلفت الحضارات في المكان فإنها لن تفلت من التاريخ العام كما أن السمات الحضارية التي كانت ثمرة جهد فكري ومادي كانت بالمقابل نتيجة مرحلة تاريخية أو قل مراحل تاريخية مرتبطة ببعضها البعض تطورت فيها الأفكار والجهود من جيل إلى آخر للوصول إلى تحسين الأشياء والوصول بها إلى أقصى مراتب الإتقان والكمال فأى شيء بين أيدينا الآن هو نتاج مراحل كبيرة من التطوير والتحسين المستمر له ليكون أكثر دقة أو أسرع زمنا أو أقل جهدا أو

حتى أروع جمالا وتناسقا. وهو ما يجعل كلمة حضارة تدل على استجابة الإنسان لعناصر بيئته وتفاعل معها ومحاولة تحدي كل ما يعيق تطوره بطرق نظرية وعملية في الوقت ذاته ولكن هذا التفاعل تحدده أسس دينية واجتماعية وسياسية فيكون لكل حضارة ثقافتها. وقد افتتح ديورانت موسوعته قصة الحضارة بقوله: "الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي (ديورانت، 1988، صفحة 3). وهو بهذا يجعل من الثقافة آخر مرحلة في طور الحضارة بل هي السبب الأول لها إذ أن الغاية القصوى هي بلوغ الإنسان أعلى مرتبة من الثقف أي فهم سبل العيش ومعنى الحياة.

إن هذه التعاريف السابقة لديورانت والتي يربط فيها بين الحضارة والثقافة تؤكد أن هناك علاقة وطيدة بين المفهومين أي أن اشتراك في المعنى أو أنه لا يمكن التعبير عن أحدها دون الآخر وسنحاول عرض بعض أوجه التشابه والاختلاف بينها لنتمكن من تحديد مفهوم كل منها ونكشف هذا التداخل بين اللفظين والذي كان هو نفسه محل بحث واهتمام، فقد كتب الرئيس السابق لجمهورية البوسنة والهرسك "علي عزت بيكوفيتش" في كتابه الإسلام بين الشرق والغرب قائلا: "هناك خلط غريب بين فكرة الثقافة وفكرة الحضارة. فالثقافة تبدأ بالتمهيد السماوي بما اشتمل عليه من دين وأخلاق وفلسفة، وستظل الثقافة تعنى بعلاقة الإنسان بتلك السماء التي هبط منها... أما الحضارة فهي استمرار للحياة الحيوانية ذات البعد الواحد، التبادل المادي بين الإنسان والطبيعة. هذا الجانب يختلف عن الحيوان فقط في الدرجة والمستوى والتنظيم. (بيكوفيتش، 1998، صفحة 94)

من خلال هذا القول يتضح لنا أن مفهوم الحضارة يتداخل مع مفاهيم أخرى كالثقافة والمدنية وغيرها إلا أن تحديد مفهوم الحضارة قد يتقاطع مع هذه المفاهيم نظرا للتداخل العميق بين ما هو مادي وما هو معنوي لحياة الإنسان بشكل خاص وتأثير الحضارات والثقافات على بعض البعض بشكل عام مما قد يجعل بعض المؤرخين المعاصرين يدخلون بعض المفاهيم كالثقافة والمدنية أثناء محاولتهم لتحديد مفهوم الحضارة. "بل

كثيراً ما تتردد هذه الكلمات في كتابات المفكرين والفلاسفة وعلماء الاجتماع، وغيرهم، وتتردد هذه الكلمات بوعي وبغيروعي أيضاً حتى أن البعض يستخدمها على أنها تحمل معاني واحدة حيث يمكن استخدام لفظ مكان الآخر، دون أي تمييز، ودون مراعاة لمنطق اللغة والاشتقاق بالإضافة إلى أن ذلك المنحنى، ترفضه الكيانات الحضارية المختلفة لأن كل حضارة في الحقيقة، تنطوي على قدر متنوع من عناصر عقيدية وتاريخية واجتماعية" (الخطيب، 1993، صفحة 25) فضلاً على أن بعض المترجمين العرب في كثير من الترجمات المعاصرة يستعملون لفظ المدينة والثقافة والحضارة بمعنى واحد من منطلق التقارب بين معني اللفظين.

يمكن القول أن مفهوم الحضارة عند ول ديورانت يعبر عموماً عن مدنية الإنسان و الإرث الثقافي له أي الانتقال من البداوة إلى التمدن الذي ينعكس على مختلف جوانب الحياة الإنسانية ليشكل معنى الثقافة والتي هي عبارة عن معاني فكرية ومعنوية. إذ الحياة لا تتوقف على توفير الجوانب المادية فقط بل تتجاوز ذلك إلى جوانب معنوية أخرى كالعلم والفن والدين والأخلاق وتهدف إلى تطوير كل هؤلاء.

3. عوامل قيام الحضارة وأسباب انهيارها

1.3 عوامل قيام الحضارة

يقول ديورانت: "تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة الفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذ ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء" (ديورانت، 1988، صفحة 4). وهو بذلك يقسم الحضارة إلى عناصر مادية ومعنوية ويربطها بالاستقرار النفسي والأمن الذي هو أحد أهم دوافع الإبداع وحوافز الابتكار، وسنحاول أن نستعرض أهم العوامل التي أشار إليها ديورانت سواء المادية أو العقلية.

أ- العناصر المادية

يستعرض ديورانت عوامل مختلفة لنشأة الحضارة منها الجيولوجية والجغرافية و الاقتصادية و سنحاول عرض هذه العوامل وتوضيح أهميتها في قيام الحضارة حيث أن أي سبب من هذه الأسباب يساهم بشكل مختلف عن الآخر في بناء الحضارة عموما وتحديد مميزاتها الخاصة التي تنفرد بها عن غيرها مما يجعل التفاعل داخل الحضارة الواحدة يخضع لشروط عديدة وهي من تحدد قيمتها ومكانتها مع غيرها من الحضارات الأخرى.

إن أول هذه العوامل هو العامل الجيولوجي الذي يرى ديورانت انه يساهم في استقرار الحضارة حيث يقول "والحضارة مشروط بطائفة من عوامل هي التي تستحث خطاها أو تعوق مسارها، وأولها العوامل الجيولوجية..." (ديورانت، 1988، صفحة 3).

إن الإشارة إلى العامل الجيولوجي ودوره في بناء الحضارة الإنسانية عموما هي من باب الاستقرار الطبيعي للحضارة التي قد تهدمها كوارث طبيعة فتمحوها تماما أو قد تعيق نموها بشكل كبير بحيث تحطم الإنتاج الحضاري لعدة سنوات في وقت وجيز مما يعود بالإنسان للبناء من جديد ويجعل يعيش صدمة عدم القدرة على التكيف مع الوضع الصعب خاصة أنه تعود على جانب من الرفاهية ونمط محدد من العيش الكريم. وعليه فإن الوضع الجيولوجي المتمثل في نوع التربة التي تقوم عليها الحضارة والمناخ والتضاريس التي تحتوي عليها يساهم كثيرا في نمو أي حضارة واستقرارها.

والعامل الثاني هو العوامل الجغرافية والمتمثلة في الحرارة والأمطار وتوفر المياه ونوعية التربة بالإضافة إلى الموقع الجغرافي الذي يشكل أهمية قصوى في تطور الحضارة حيث أن الحرارة التي تؤدي إلى زوال المياه وإصابة المحاصيل بالجفاف مما يجعل صعوبة الحصول على الغذاء تكون سببا في بطئ عجلة التنمية وازدهار الحضارة إذ تصرف الإنسان على البحث عن كماليات الحياة التي هي سبب التقدم، وعليه فالثروات الباطنية للأرض كالماء والمعادن هي مصادر قوة حضارية خاصة عندما تكون المدينة بعيدة عن طرق النقل

والانصال والمتمثلة أساسا في الأنهار والبحار أما" إذ كانت تربة الإقليم تجود بالطعام أو المعادن، وإذ كانت أنهاره تهيئ له طريقاً هينة للتبادل مع غيره، وإذ كان شاطئه مليئاً بالمواضع التي تصلح مرافئ طبيعية لأسطوله التجاري" (ديورانت، 1988، صفحة 4).

وهكذا فإن العامل الثاني والمتمثل في مجموعة عوامل جغرافية مرتبة بحسب الأهمية في مقدمتها القوة التجارية التي تعود إلى الموقع الجغرافي والثروات الباطنية التي تنهض بالصناعة التي تساهم بدورها في ازدهار التجارة وتمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة بواسطة الآلات والأدوات الصناعية وبناء المنشآت وتسهيل النقل من خلال اختراع وسائل أكثر سرعة ووظيفة وأقل جهداً ولنا أن ندرك ذلك من خلال أهمية الطائرات والقطارات والسفن التجارية في حضارتنا اليوم فهي ثمرة صناعية ذات أهمية تجارية قصوى لذلك يقول "كلا الحق إنها التجارة لا الصناعة التي حركت عصب الحياة والفكر وأنتجت العصور السامية من الثقافة الأوروبية. ومع ذلك فالصناعة ناشئة ولا ينبئ الماضي عن مستقبلها" (ديورانت، 2016، صفحة 96).

وهذا كله هو ثمرة مناخ مناسب لقيام الحضارة وثروات باطنية تدفع لبروز الحضارة في شكل سريع بحسب تسخيرها وتطويرها والاستفادة منها على أكمل وجه صناعياً وتجارياً" فالعوامل الجغرافية على الرغم من أنها يستحيل أن تخلق المدينة خلقاً، إلا أنها تستطيع أن تبتسم في وجهها وتهيئ سبيل ازدهارها". (ديورانت، 1988، صفحة 4).

أما العامل الثالث الذي يرى ديورانت أنه سبب مهم في بروز الحضارة فهو العوامل الاقتصادية بمختلف عناصرها ومظاهرها كالزراعة والصيد والادخار والمؤسسات الاقتصادية وكلها خصائص تدفع بالإنسان من البداوة إلى التمدن لذلك كانت الزراعة أحد أهم المهن التي نقلته إلى سبل توفير الغذاء وقبل ذلك كان الصيد هو الطريقة الوحيدة للحفاظ على البقاء فقد تم اللجوء إلى الزراعة عندما كان الصيد لا يحقق الموارد الغذائية بصفة منتظمة فقد يتأخر إلى عدة أيام وهو ما دفع بالنساء إلى الزراعة وجمع المحاصيل في انتظار عودة الرجال بالصيد "فأول صورة تبنت فيها الثقافة هي

الزراعة، إذ الإنسان لا يجد لتمدنه فراغا ومبرراً إلا إذ استقر في مكان يفلح تربته ويخزن فيه الزاد ليوم قد لا يجد فيه مورداً لطعامه." (ديورانت، 1988، صفحة 5).

كما أن توفير الغذاء يساهم في انتقال الإنسان إلى المدنية فبعد ذلك يلجأ إلى بناء المدارس واختراع الآلات و يبدأ في تنظيم شؤونه والتخطيط لتحقيق سبل الرفاهية والحضارة وزيادة الإنتاج المادي والثقافي العلمي ويكون ذلك بعد أن تكون المدينة قد تأسست وبدأت بها حركة النشاطات المختلفة فتكون قد جمعت كل أنواع الحرف والمهن ومختلف الصنائع وتبدأ في استقطاب سكان الأرياف نظراً لحاجتهم المستمرة لها وما تحويه "ففي المدينة يتلاقى التجار حيث يتبادلون السلع والأفكار وها هنا حيث تتلاقى طرق التجارة فتتلاقح العقول...نعم إن المدينة تبدأ في كوخ الفلاح، لكنها لا تزدهر إلا في المدن". (ديورانت، 1988، صفحة 5).

ب -العناصر العقلية

إن الشروط السابقة التي حاول ول ديورانت تحديدها ما هي إلا أسباب مادية كانت فاعلة وضرورية لنشأة الحضارة وهناك عناصر عقلية تقوم عليها الحضارة وتتمثل في الثقافة و العلوم والفنون ومختلف الأسباب النفسية والعقلية والتي تحرك الحضارة إلى التقدم بصورة سريعة جداً، إذ أن الاكتشافات العلمية والتطورات في شتى الميادين ليست سوا ثمرة علوم وبحوث لعلماء ومفكرين ساهم كل منهم في مجاله وبفكره لفهم أسس الحياة وتفسيرها وجعلها أكثر فهماً نظرياً وأقل مرونة ودقة عملياً وبذلك كان لكل علم دوره الخاص في نشأة الحضارة فالاكتشاف مهما كان طبياً أو فيزيائياً أو بيولوجياً بل حتى فلسفياً أو في أحد الفنون فإنه من دون شك له أثره الحضاري الدائم والمستمر وسنحاول أهم العناصر العقلية والفكرية التي تستحدث الحضارة في المجال الثقافي بمختلف أشكاله من العلمية والفنية والأخلاقية.

و أول هذه العناصر هو التنظيم السياسي و الذي يحدد كيفية الحكم وطرق إدارة شؤون المدينة وهي ضمن العناصر السياسية في الحضارة كما أشرد ديورانت في الكتاب

الأول من قصة الحضارة حيث أكد أن كل أشكال التنظيم بداية من القبيلة والعشيرة وصولاً إلى الحكومة والملك ساهمت في تعاون البشر فيما بينهم لبناء الحضارة وضمان استمرارها وهو يرى أن القبيلة كانت أول صورة للنظام الاجتماعي الدائم وهي تتمثل في جماعة من الأسر التي تربطها علاقات القرابة ومحكومة وفق قوانين معينة وفقاً للعرف السائد فيها والعقد الاجتماعي بين أفرادها والحاكم فيها، "فإذ ما اتحدت عدة قبائل تحت رئيس واحد تكونت بذلك العشيرة، فالعشيرة هي الخطوة الثانية نحو تكوين الدولة لكن هذا التطور في هذه السبيل كان بطيئاً إذ كانت كثير من الجماعات بغير رؤساء" (ديورانت، 1988، صفحة 40) وكان للحروب دور كبير في صناعة الدول والحكومات حيث يضطر الناس في هذه الحالة إلى اللجوء إلى المجالس والرؤساء لحمايتهم وحفظ السلام وتوفير الأمن فالحاجة إلى وسائل الأمن في حالة الحرب أكثر من غيرها في حالات السلم كما أن الحروب جعلت الإنسان يطور من أسلحته وفنون الحرب وحفزه على الاختراع وكرست فيه قيم الشجاعة والعنف والقسوة والذكاء.

وثاني هذه العوامل يتمثل في الجانب الاجتماعي والذي يتمثل في مختلف النظم الاجتماعية كالأماكن العابدة والمدارس ومؤسسات الدولة المختلفة وخاصة الأسرة التي تعتبر نواة المجتمع حيث "أنها الأساس الأول في كل حضارة عرفها التاريخ، كانت الوحدة الاقتصادية والإنتاجية في المجتمع... وكانت الوحدة الثقافية، فيها تنتقل الآداب والفنون، ويربى النشء ويعلم الشباب، وكانت الوحدة الأخلاقية التي تربي عن طريق التعاون والتأديب تلك الميول الاجتماعية." (ديورانت، 2016، صفحة 102)

والجانب الفكري المتعلق بالعلوم والآداب والفلسفة وهي عناصر عقلية تعبر عن دور العقل العلمي والفلسفي في بناء الحضارة إذ يرى ديورانت أن التطورات التي شهدتها العقل في هذا المجال يمكن ردها جميعاً إلى اللغة باعتبارها الوسيلة الأولى لنقل المعارف والتعبير عن متطلبات الإنسان واتصاله مع غيره من أبناء جنسه، "وأعظم المزايا التي لألفاظ اللغة - بعد توسيعها للفكر هي التربية فالمدينة ثروة زاخرة تجمعت على الأيام من

الفنون والحكمة وألوان السلوك والأخلاق ومن هذه الثروة الزاخرة يستمد الفرد في تطوره غذاء لحياته العقلية" (ديورانت، 1988، صفحة 126)

ورغم أنه كان للفلسفة دور عظيم في نشأة الحضارة فهي محبة الحكمة وهي البحث في علل الوجود ومختلف الإشكاليات التي تثير الدهشة والشك في أذهان المفكرين والفلاسفة وبذلك هي نمط متميز من التفكير يعبر عن درجة عالية من الوعي الذي ربما يكون سبب في زوال الحضارة وليس في ترسيخها فالبحث في العقائد والأخلاق والوجود ومختلف المشكلات التي اعتاد الناس على التسليم بها دون البحث عن أصولها ومبادئها والتي هي من صميم الفلسفة يجعل من هذه الأخيرة أداة خراب ودمار عوض أن تكون وسيلة بناء ولعل هذا ما جعل ول ديورانت ينظر إلى الفلسفة نظرة خاصة حيث يقول: "عادة ما يكون نهوض الفلسفة نذيراً باضمحلال الحضارة، فالتأمل يبدأ بالطبيعة ويؤدي إلى النزعة الطبيعية، حيث يسري للبشر- في البدء كنزعة نفسية ثم كأعضاء من المجتمع ثم يؤدي إلى الفردية، ولا يحبذ الفلاسفة هذه النتائج عادةً ولكنهم يصلون إليها" (ديورانت، 2021، صفحة 36).

والدين كذلك جزاء من الحضارة وهو ظاهرة تعم كل البشر على حد قول ديورانت والعقيدة الدينية قديمة الظهور ودائمة الوجود في الحضارة رغم أن هناك أجزاء من مناطق العالم لم تعرف أو تمارس أي من الطقوس الدينية حيث يذكر ديورانت بعض الأمثلة عليها في كتابه قصة الحضارة حيث يقول "إذ عرفنا الدين بأنه عبادة القوى الكائنة فوق الطبيعة. فلا بد لنا أن نلاحظ منذ البداية أن بعض الشعوب – فيما يبدو- ليس لها ديانة على الإطلاق" (ديورانت، 1988، صفحة 98)

وللفن أثره كذلك في صناعة الحضارة فهو يعبر عن أصالتها ومستواها الثقافي من جهة ويعبر عن الاهتمام الروحي للإنسان والذي يتمثل في صناعة الجمال عبر عديد الفنون التي تجذب الانتباه أو تغذي فيه فطرة حب الكمال كالموسيقى والنحت والرسم

وعليه يمكن القول أن للحضارة مظاهر كثيرة ومترابطة مع بعضها البعض وتشمل مجالات متعددة ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- المظهر السياسي: ويتمثل في هيكل الحكم ونوع الحكومة، ومؤسساتها.
- المظهر الاقتصادي: ويتمثل في موارد الثروة، ووسائل الإنتاج، وتبادل المنتجات.
- المظهر الاجتماعي: ويتمثل في تكوين المجتمع ونظمه، ونظام الأسرة.
- المظهر الديني: ويتمثل في المعتقدات الدينية والعبادات.
- المظهر الفكري: ويتمثل في الفلسفة والعلوم والآداب.
- المظهر الفني: ويتمثل في الفن المعماري والنحت والرسم والموسيقى (محمد عبد الرحيم، 1992، صفحة 10)

2-3 أسباب انهيار الحضارة

يحدد ديورانت زوال الحضارة بعدة عوامل مختلفة كالكوارث الطبيعية والمتمثلة في التغيرات المناخية الشديدة والأمراض والأوبئة وقد تكون هذه العوامل معنوية كالأزمات الاجتماعية والتي قد تصيب المجتمع في أفكاره وأخلاقه وتقاليده، لكن قبل ذلك يؤكد أن انعدام العوامل السابقة والضرورية في نشأة الحضارة أو واحد منها على الأقل لكان هو السبب في بداية انهيارها حيث قد يكون تقلبات في العوامل الجيولوجية والجغرافية أو حتى استنفاد الموارد الطبيعية الذي يؤدي إلى انعدام حركة الصناعة والتجارة وغيرها من الأزمات التي هي مترابطة مع بعضها فتؤثر سلباً كما كانت تؤثر إيجاباً، ويمكن أن نلخص عوامل انهيار الحضارات عند ديورانت فيما يلي:

-الأزمات التي تصيب أركان الحضارة كالكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات والأوبئة "حيث أن إعصاراً يستطيع أن يدمر في ساعة واحدة المدينة التي أستغرق بناؤها قرناً من الزمان" (ديورانت، 1993، صفحة 40).

-استنفاد الموارد الطبيعية والضرورية مثل فساد الزراعة بسبب انعدام خصوبة الأرض أو استغلالها للبناء يجعل من الناس يعتمدون على غيرهم في تحصيل قوتهم أو يلجئون إلى الاعتماد الكلي على معادن الأرض وثرواتها وتقديمها مقابل الغذاء.

-الأزمات الأخلاقية والفكرية والمتمثلة في الأفكار الشاذة وانهايار منظومة القيم الناتج عن الثراء الفاحش وطبيعة الحياة المدنية "أو ينشأ عن تهمد القواعد التقليدية التي كان النظام الاجتماعي يقوم على أساسها" (ديورانت، 1988، صفحة 8).

-عدم وجود رجال أكفاء يورثون الحكمة وعلوم التخطيط وفنون التسيير للأولاد نظرا لانقطاع نسلهم "وبسبب القلة النسبية أفراد الأسرات التي كان في مقدورها أن تورث الخلف تراث الجماعة الفكري كاملا غير منقوص" (ديورانت، 1988، صفحة 8).

- الحروب الطبقيّة بين أفراد المجتمع التي تؤدي إلى ثورات هدامة وانتشار الاحتكار وتكديس البضائع وإلى الإفلاس المالي بسبب اختلال التوازن الاقتصادي.

إن هذه العوامل التي يشير إليها ديورانت قد تكون سبب حقيقيا في انحلال الحضارة وزوال المدنية عن المجتمعات فإذ كانت الكوارث الجغرافية والجيولوجية خارجة عن سيطرة الإنسان فإن هذا الأخير مطالب بأخذ الاحتياطات اتجه ذلك من خلال حسن التخطيط والتدبير وتوقعها كما وجوب عليه تكريس القيم الأخلاقية والتربوية داخل المجتمع فالحضارة ليست فطرية حسب ديورانت وليست عصبية على الزوال "إنما هي شيء لا بد أن يكتسبه كل جيل من الأجيال اكتساب جديداً... فالإنسان لا يختلف عن الحيوان في شيء واحد، وهو التربية ونقصد بها الوسيلة التي تنتقل بها المدنية من جيل إلى جيل. " (ديورانت، 1988، صفحة 8).

4. خاتمة:

إن تأريخ ول ديورانت للحضارة من خلال تفسيره لعوامل قيامها وأسباب انحلالها يعبر عن فلسفة عميقة بتاريخ الحضارات حيث أورد هذا الفيلسوف تاريخ عام للحضارة مما

يؤكد أن ول ديورانت كان من أهم مؤرخي الحضارة في القرن العشرين وأنه فهم فعلا أسباب قيام الحضارة وعوامل انهيارها. فهكذا و من خلال ما سبق عرضه يمكن أن نخلص إلى مجموعة من النتائج من أهمها ما يلي:

- هناك تداخل وترابط بين مفهوم الحضارة والثقافة والمدنية سواء في الفكر العربي أو الغربي.

- الحضارة عند ول ديورانت تعني تضافر كل ما هو نشاط مادي ومعنوي وهي ثمرة لكليهما من اجل خدمة الإنسان.

- الحضارة لا تزول كليا بل هي تنتقل من مكان إلى آخر ومن جيل إلى جيل من خلال التراث الثقافي والعلمي في مختلف أشكاله.

- تعددت مظاهر الحضارة عند ول ديورانت بين الجانب السياسي والفكري والديني والاجتماعي والفني والاقتصادي وكلها عناصر مهمة يجب التركيز عليها لأنها تعمل كوحدة حضارية متكاملة.

- هناك أسباب مختلفة لزوال الحضارة يمكن أن تكون طبيعية خارجة عن سيطرة الإنسان أو معنوية يساهم فيها من خلال عدم تحقيق التوازن في أحد الجوانب.

5. قائمة المراجع:

المراجع

Urdang. (1992).

القرآن الكريم، الآية 196 من سورة البقرة. الآية 196

علي عزت بيكوفيتش. (1998). الاسلام بين الشرق والغرب.

ول ديورانت. (2021). الفلسفة والمسألة الاجتماعية. ترجمة أنور حمادي، د.م.

- (مفهوم) 2021 (ول ديورانت. (1993). دروس التاريخ. ترجمة علي شرش،. بدران لحسن، 166، الصفحة 02، العدد 07 الحضارة دراسة تحليلية مقارنة عابرة للثقافات، مجلة أنتربولجيا، المجلد

ديورانت. (1988). قصة الحضارة. تأليف ول ديورانت، قصة الحضارة (صفحة 3). بيروت، لبنان: دار الجيل.

ديورانت. (2016). مباحج الفلسفة. تأليف ول ديورانت، مباحج الفلسفة (أحمد فؤاد الأهواني، ، ا.

سليمان الخطيب. (1993). فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي. تأليف سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند

مالك بن نبي (صفحة 25). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

عبد الرحمان ابن خلدون. (2010). المقدمة. تأليف ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة (صفحة 128). لبنان:

دار الفكر.

لالاند اندريه لالاند. (2001). القاموس الفلسفي. تأليف اندريه لالاند، القاموس الفلسفي (صفحة 72).

محمد عبد الرحيم محمد عبد الرحيم. (1992). فهارس قصة الحضارة. تأليف محمد عبد الرحمان، فهارس قصة

الحضارة (المجلد 1، صفحة 10). دار الجيل.

منظور ابن منظور. (1984). لسان العرب. تأليف منظور ابن منظور، لسان العرب (صفحة 196).

ول ديورانت،

أ- باللغة العربية

ب- باللغة الأجنبية.

1)Kabuye Uthman Sulaiman, (2016), civilization : history, description, common, characteristics and

importance, Journal of Education and Social Sciences, Vol.5

تدوين المراجع يكون في آخر المقال وباعتماد أسلوب: (APA) وذلك بذكر (صاحب المرجع، السنة، الصفحة) في قلب النص (Brown, 2006, p35) بصفة آلية، على أن يُدون المرجع كاملاً في قائمة المراجع كالاتي:

- المؤلفات: الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للمؤلف(ة)، (سنة النشر)، عنوان الكتاب، بلد النشر، الناشر.
- الأطروحات: الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للباحث(ة)، (سنة النشر)، عنوان الأطروحة، القسم، الكلية، الجامعة، البلد.
- المقالات: الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للمؤلف(ة)، (سنة النشر)، عنوان المقال، اسم المجلة، المجلد، العدد، الصفحات؛
- بدران لحسن، (2021)، مفهوم الحضارة دراسة تحليلية مقارنة عابرة للثقافات، مجلة أنترولوجيا، المجلد 07، العدد 02، الصفحة 166.
- المداخلات: الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للمؤلف(ة)، (تاريخ انعقاد المؤتمر)، عنوان المداخلة، عنوان المؤتمر، الجامعة، البلد؛
- مواقع الانترنت: اسم الكاتب (السنة)، العنوان الكامل للملف، ذكر الموقع بالتفصيل:

http://adresse complète (consulté le jour/mois/année)

6. ملاحق:

Kabuye Uthman Sulaiman, (2016), CIVILIZATION: HISTORY, DESCRIPTION, COMMON CHARACTERISTICS AND IMPORTANCE, Journal of Education and Social Sciences, Vol.5

المراجع

Urdang. (1992).

القرآن الكريم، الآية 196 من سورة البقرة. الآية 196

علي عزت بيكوفيتش. (1998). الاسلام بين الشرق والغرب

ول ديورانت. (2021). الفلسفة والمسألة الاجتماعية. ترجمة أنور حمادي، د.م

- مفهوم الحضارة (ول ديورانت. (1993). دروس التاريخ. ترجمة علي شرش.، بدران لحسن، (2021)
دراسة تحليلية مقارنة عابرة للثقافات، مجلة أنثروبولوجيا، المجلد 07، العدد 02، الصفحة 166

ديورانت. (1988). قصة الحضارة. تأليف ول ديورانت، قصة الحضارة (صفحة 3). بيروت، لبنان: دار الجيل

ديورانت. (2016). مباهج الفلسفة. تأليف ول ديورانت، مباهج الفلسفة (أحمد فؤاد الأهواني، ، ا

سليمان الخطيب. (1993). فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي. تأليف سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك

بن نبي (صفحة 25). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

عبد الرحمان ابن خلدون. (2010). المقدمة. تأليف ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة (صفحة 128). لبنان: دار الفكر

(لالاند اندريه لالاند. (2001). القاموس الفلسفي. تأليف اندريه لالاند، القاموس الفلسفي (صفحة 72

محمد عبد الرحيم محمد عبد الرحيم. (1992). فهارس قصة الحضارة. تأليف محمد عبد الرحمان، فهارس قصة

الحضارة (المجلد 1، صفحة 10). دار الجيل

(منظور ابن منظور. (1984). لسان العرب. تأليف منظور ابن منظور، لسان العرب (صفحة 196